مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد (06)، العدد (02)، السنة (2021)، ص 81 - 98
ISSN : 2602-5566 EISSN :2716-8999

الحضور الخلدوني في متن عبد الله شريط

The khaldouni presence in the writings of abdellah cheriet

يوسف خلدون[1]*، سايح حمادي[2]

[1] مخبر الفلسفة والعلوم الانسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم (الجزائر) khaldoun35youcef@gmail.com

2 مخبر الفلسفة والعلوم الانسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم (الجزائر) sayehham@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 07-05-2021 تاريخ القبول: 03-07-2021.

ملخص:

المفكر عبد الله شريط من بين المفكرين المعاصرين، الذين حملوا شعار الحداثة والتجديد ولكنه لم ينعزل عن التراث، بل عاد اليه وتصفح سابقيه من المفكرين وعلى رأسهم ابن خلدون لهذا فالمشكلة الجوهرية في هذا المقال هي، مدى تأثير الفكر الخلدوني على كتابات شريط،من هذا المنطلق سأعتمد القراءة الوصفية التحليلية التي تنسجم مع قراءة المفكر شريط للعلامة ابن خلدون محاولا الاستعانة به في فهم متطلبات الواقع الراهن الذي يناشد التطور والحداثة دون التخلي عن الخصوصية المحلية.

إن استعادة ابن خلدون في فكر الدكتور عبد الله شريط ليس من باب إعادة تقديم أطروحاته التي عكف من خلالها على دراسة المجتمع العربي في زمانه، وإنما الهدف من ذلك هو تنحية ما يتصل بزمانه والإفادة من الخلاصات العلمية التي خرج بها في قراءة معطيات الراهن بغية تحقيق نهضة أو بالأحرى حداثة عربية.

كلمات مفتاحية: ابن خلدون؛ حداثة عربية؛ فلسفة اجتماعية؛ سوسيولوجيا غربية.

Abstract

The thinker Abdullah cheriet is among the contemporary thinkers, who carried the slogan of modernity and renewal, but he did not withdraw from the heritage, but rather returnm8ed to it and reviewed his predecessors of thinkers, led by Ibn Khaldun So the main problem with this article is, The extent of the influence of Khaldunian thought on the writings of cheriet From this standpoint, I will adopt an analytical descriptive reading reading consistent with the thinker's reading of cheriet by the scholar Ibn Khaldun, trying to use it to understand the requirements of the current reality calling for development and modernity without abandoning the local peculiarity. As well as heritage.

the way Dr ‘ abdellah cheriet ‘ has studied khaldouni thoughts was not aiming to imitote blindly ibn khaldoun in the ways this letter has deeply supervised the arab society in his time, but Dr abdellah cheriet had in mind to draw a new read map that fits the new arab society different in the shape, however it should be rich in content in order to make progress and get easily in modernity.

Keywords: Ibn Khaldun ; Arab modernity; Social philosophy; Western sociology.

* المؤلف المرسل

1- مقدمة

مما لا شك فيه أن تاريخ الفكر الفلسفي شهد تنوع و تعدد واختلاف في الرؤى والتصورات لكنه في الوقت نفسه عرف استمرارية وديمومة غير منقطعة، فلو أخذنا مثال عن الحضارة اليونانية لوجدناها فلسفيا كان لها تأثير كبير في بزوغ شمس الفلسفة على مستوى الحضارات الأخرى، ونذكر على سبيل المثال هنا الحضارة العربية الإسلامية، التي ذاع صيتها في الساحة الفكرية العالمية فقد عرفت فلسفة تنويرية في القرن الرابع والخامس هجري، مع جيل ابن مسكويه والتوحيدي وحتى مع المفكر ابن خلدون، هؤلاء أعطوا قيمة عظيمة للتفكير الفلسفي الإسلامي، وكان لهم أثر كبير على التيارات الفكرية الفلسفية الأخرى خاصة الفلسفة الغربية الحديثة، التي عرفت ركودا فكريا في ذلك الوقت، فالعقل العربي المثقف الواعي يقف أمام مفارقة عجيبة ألا وهي تقدم الغرب و تأخر العرب مما دفع بالمفكرين العرب إلى النهوض بالمجتمعات العربية التي تراجعت مكانتها فظهرت عدة حركات إصلاحية (جمعية العلماء المسلمين مثلا)، وبعض الحركات النهضوية التي مثلها مالك بن نبي في الجزائر مثلا، إضافة إلى بروز بعض المفكرين المعاصرين أمثال الجابري وعبد الله العروي في المغرب وناصر حامد أبو زيد في مصر ومحمد الشحرور في سوريا ومصطفى الأشرف وعبد الله شريط في الجزائر ،هؤلاء كلهم رفعوا شعار النهضة و الازدهار ومحاولة اقتباس الفكر الحداثي الذي ظهر في الغرب من خلال بلورته على الساحة الفكرية العربية .

وما هو متعارف عليه هو أن المفكرين والمنظرين في الفكر العربي المعاصر، كانت لهم مرجعيات فلسفية وفكرية انطلقوا منها لبناء فكرهم وفلسفتهم، ومن بين هذه المرجعيات نجد المرجعية الخلدونية، فلا يزال فكر العلامة ابن خلدون يثير نقاشا في العالمين العربي والغربي، وذلك راجع إلى الموضوعات التي ناقشها والتي تميزت بالشمولية، باعتباره تطرق إلى قضايا يجد فيها الكثيرون موضوعات راهنة، استحقت الاهتمام والنظر، رغم أن هذا العلامة قد مضى على وفاته ستة قرون من الزمن، فلم ينقطع سيل الدراسات حول أفكاره، كما لم يتوقف تكريس نظرياته على مر الأزمنة والعصور، كواحد من رواد علم الاجتماع دون منازع باعتبار أن أطروحته لم تتجاوز الإطار المكاني والزماني.

فالاستعانة بهذا العلامة الفذ ليس من باب إعادة تقديم قراءته للمجتمع العربي في العصر الذي عاش فيه، وإنما الغاية هنا هي تنحية بما له علاقة بزمانه، والاستفادة من الدروس التي خرج بها في قراءة المعطيات الراهنة، وهو ما عكف على تقديمه لنا المفكر الجزائري الدكتور عبد الله شريط من خلال اجتهاده في مدى قدرة أفكاره على تفسير الظروف العربية المعاصرة، التي يميزها اشتداد وطأة الفساد السياسي والاجتماعي والثقافي ..، وكل هذا من أجل الاستعانة بهذا

العلامة بغية إرساء الدراسات السيسيولوجيا، التي من خلالها يستطيع مثقفينا تشخيص أزمة المجتمع العربي في جميع الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

من خلال ما سبق يمكن طرح إشكالا جوهريا مفاده أين يظهر أثر الفكر الخلدوني في كتابات المفكر عبد الله شريط؟

ينطلق هذا المقال من فرضيتين أساسيتين: تتمثل الأولى في أن الدكتور عبد الله شريط أراد العودة إلى الفكر المحلي، متجاوزا في ذلك المركزية الغربية، أما الثانية فهي انطلاقا من تكريسه للفكر المحلي، أراد تحليل الواقع الجزائري وقضاياه عبر فلسفة ابن خلدون.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة تم توزيع هذ المقال وفق المنهجية التالي :

1- مقدمة
2- لماذا ابن خلدون ..؟
3- حضور المنهج النقدي الخلدوني في كتابات شريط
4- تحليل الواقع السياسي المعاصر من خلال استدعاء ابن خلدون
5- الثورة الثقافية من منظور المفكر شريط

ويهدف هذا المقال إلى إبراز معالم الفكر الخلدوني في الفكر العربي المعاصر عامة، وعلى الفكر الجزائري خاصة على لسان مفكرها عبد الله شريط، لذلك سأقف على أهم النقاط التي تم استدعاؤها في فكر العلامة ابن خلدون، لقراءة الواقع الجزائري الراهن من أجل تحقيق حداثة مبنية على مرجعية محلية تراعي الخصوصية العربية من هوية ودين ولغة.

ولذلك اعتمدت المنهج الوصفي التاريخي، من خلال قراءة أفكار المفكر الجزائري عبد الله شريط الذي حاول النهوض بالمجتمع الجزائري، ووضع معالم التقدم في متنه وكتاباته مستعينا في ذلك بمرجعية محلية، تستدعي العودة إلى الماضي تاريخيا من أجل تجسيد رؤية حداثية تراعي القيم التاريخية والحضارية التي تأسس عليها المجتمع العربي.

2- لماذا ابن خلدون ..؟

لقد أثبت الدكتور عبد الله شريط في دراسته المعمقة " الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون" التي هي رسالة دكتوراه، أن هناك جوانب عديدة لم تغطى بعد في الفكر الخلدوني، فمثلا من الجانب السياسي عندما يتكلم ابن خلدون عن العصبية القبلية، فقد واجه هذا المفهوم عدة قراءات منها أن العصبية، إذا ضعفت وتلاشت كانت سببا في هدم الدولة، لاعتبارها أنها تخلق الفرقة والنزاع اللذان يعجلان بفناء الدولة، لكن شريط ذهب بفكره إلى أبعد من ذلك، باعتباره أن فهمه لابن خلدون كان أعمق بكثير، خاصة عندما اعتبر أن هذا العلامة كان يشير من وراء ذلك إلى غياب الأخلاق السامية عن السلطة العربية، خلال مختلف أطوارها، لهذا ففي بداية هذا المقال

سأحاول طرح تساؤلا جوهريا ألا وهو لماذا اتخذ المفكر عبد الله شريط من العلامة ابن خلدون كمرجعية فكرية وفلسفية لإبراز معالم فلسفته ؟

يكاد الاتفاق أن يكون واحدا بين معظم المفكرين وهو أن المجتمع العربي المعاصر مجتمع يرجع إلى الحضارة بعد أن خرج منها، وذلك من خلال توضيح الأسلوب والمنهج والآليات التي تمكن الفكر الفلسفي العربي المعاصر من العودة، من خلال البحث عن الطريقة التي تمكن هذا الفكر من أجل تجاوز إشكالية التخلف وهذا ما نبه إليه المفكر شريط، وهذا لن يكون ولن تتجسد هذه الرؤية إلا من خلال طرح نموذج فكري فعال، ينطوي على جميع المجالات، وبالتفكير العقلي السليم يقول هنا شريط << نبتعد عن الاكتفاء بتمجيد اللغة وهي البعيدة عن المجتمع كما يحدث الأمر نفسه بالنسبة إلى تمجيد المبادئ الأخلاقية و هي منفصلة عن الحياة >> (عبد الله، شريط، 2008، ص 675).

ما يمكن تأكيده هو أن الفكر هو نتاج اجتماعي، وذلك من حيث بدايته وأسلوبه ومنهج قيامه بوظائفه، وحتى من خلال نتائجه، هذا يجعلنا نؤكد أن الفكر هو انعكاس للتطور والنمو والتغير الاجتماعي، هذا يدفعنا إلى طرح قضية دراسة المجتمع الجزائري والعربي ضمن هذا السياق هو الذي يحدد الفلسفة الخلدونية الاجتماعية عند الأستاذ الدكتور عبد الله شريط (اسماعيل، 2002، ص 126)، هذا يفسر بأن ابن خلدون يُعد المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، أو كما كان يسميه هو بعلم العمران البشري، رغم أن الحضارة الغربية لا يعترفون به وينسبون تأسيسه للمفكر الاجتماعي الفرنسي أوغست كونت فالمجتمع العربي عرف حضارة لم يسبقها مثيل في التاريخ، لكنه خرج منها بعد الموحّدين كما أشار مالك بن نبي واستمر هذ العجز والتخلف إلى غاية القرن العشرين، فأصبحت الهوة بينه وبين المجتمعات المتحضرة أعمق، لكن هذا ليس مصيرا محتوما على المجتمع العربي، باعتبار أن المجتمع العربي يتميز بالديمومة والتغير، وما حصل للمجتمع العربي من نكسات وانكسارات صحيح أنها دامت طويلا، لكنها لن تدوم مع مرور الوقت والزمن سيأتي يوم وتصعد فيه شمس التغير والحضارة.

إن قراءة شريط لهذه القضايا لم تكن سطحية شكلية مُنطلقة من فراغ، إذ أراد شريط إعادة بعث الحياة والأمل في المجتمع الجزائري والعربي إلى حركة التاريخ والوعي بهذا المشروع النهضوي، وذلك عن طريق ثورة فكرية على مخلفات الحضارة الغربية، التي جعلت من الإنسان المثقف العربي مترجما أو جامعا للمادة المعرفية، " لذلك كان حرص الأستاذ شريط على الظفر بالإرث الحضاري، الذي نمتلكه عبر المسار التاريخي، والذي يتمثل في الكشف عن معالم الفلسفة الاجتماعية الخلدونية المعاصرة " (حمودة، 2004، ص 101)

إنه مجهود فلسفي لا يمكن إنكاره أو إهماله، حيث تترجم رؤى ومواقف فلسفية هادفة تحيط بدينامية المجتمع العربي الاسلامي، والمجتمع الجزائري بصفة خاصة، وهذا افتخار برجال

الفكر والفلسفة، باعتبارهم أنهم شاهدين على ثراء ثقافتنا وتمسكها بأصالتها، دون إهمال مقوماتها وجذورها فالمجتمع العربي المعاصر عاد إلى الحضارة بعدما كان خارجا عنها، وذلك من خلال الابتعاد عن الشطحات الفلسفية وعدم الخوض في المسائل الماورائية، أي التمركز حول المنطق العلمي والرؤية الواقعية لا السفر في عالم التجريد، وهذا ما نلمسه في الفلسفة الخلدونية، باعتبار أن ابن خلدون كان شديد الواقعية حسب اعتقاد علي الوردي، لأنه ابتعد عن الشطحات الفلسفية المغيبة لتطابق الفكر مع الواقع، لهذا فالأستاذ شريط يعتبر أن العودة إلى الماضي لن تكون على سبيل الصدفة، " بل يتحقق وفق معطيات واضحة وانتاج فكري فعّال، وإن كنا ندرك أن بداية التفكير تنمو وتتطور إلا في إطار اجتماعي، فلا ننتظر تطورا فكريا أو ثورة علمية تكنولوجية، دون العمل على تجاوز المعثرات " (عبد الرحمن س.، 1981، ص 13)

3 - حضور المنهج النقدي الخلدوني في كتابات شريط

تظهر معالم المنهج النقدي الإبستمولوجي، الذي كان يعتمده العلامة ابن خلدون خاصة في مجال التاريخ، من خلال الصفات الموضوعية التي يجب على المؤرخ الالتزام بها، من أجل نقل الرواية التاريخية كما هي، فهنا نجد شريط يحدث اسقاطا لهذا المنهج على فلسفته، فباعتبار شريط مفكرا معاصرا ومن الذين عايشوا تاريخ الجزائر أراد أن يطرح مسألة جد مهمة، تمثلت في التراث والحداثة أي البحث في شروط استمرار الأمة، فهنا نلمس في هذا المفكر خاصيتين أساسيتين، هما الواقعية والابتعاد عن الشطحات الفلسفية المثالية والاقتراب من تشريح الواقع ونقده، وهذا من أجل تقديم حلولا للمشكلات التي يطرحها الواقع، بحكم أن الأصالة لا تعني الانغلاق والتقوقع على الماضي، كما أن المعاصرة لا تعني مسايرة العصر والتخلي عن الهوية الوطنية وكذا الدينية، فشريط كان ناقدا لمسألة التعريب وتعليم اللغة العربية، لهذا كان يدعوا الى تخليص اللغة العربية من الشوائب التي علقت بها وتجعلها ميتة وراكدة، فإحداث الثورة على المستوى التربوي والنفسي والاجتماعي والاقتصادي، ليست بالمهمة السهلة بل تقتضي تكاثف الجهود والأفكار، التي تنير الطريق نحو الازدهار الثقافي. (عبد الرحمن س.، 1981، ص 13)

فمن الثابت الذي لا شك فيه أن اللغة العربية تعتبر من أهم العوامل في خلق وارساء الوحدة بين عناصر الشعب الواحد، أو بين شعوب الأمة الواحدة وتقوية أواصرها وشد عزمها على التآخي والتعاون، ودفعها للسير قدما في مضمار التطور والالتحاق بقوافل الحضارة، وهذا ما يثبته تاريخنا الإسلامي، ونعيشه حاليا من تضامن بين الشعوب العربية في المشرق والمغرب. (عبد الرحمن س.، 1981، ص 13)

ويرتكز المنهج النقدي عند العلامة ابن خلدون على مصدر رئيسي ألا وهو القرآن الكريم، الذي اعتبره النقطة الأساسية لعدم الاستكانة والركون للموروث، وكذا رفض ما فسد من ثقافة

الآباء والأجداد، وذلك من خلال التمسك بميراثهم والوفاء لهم، فالقرآن الكريم أسس لمنهج نقدي جد متكامل من خلال :

* الدعوة إلى إعمال العقل : أي تحكيم العقل وتوظيفه وتحريره من الخرافة والجهل، وترك التقليد وذلك في قوله تعالى : [قالوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ] الشعراء 74

التحذير من الظن كمنهج للمعرفة : وذلك من خلال التمحيص والمراجعة وعدم الاستكانة إلا للمعرفة الدقيقة واليقينية، التي يدعو إليها العقل والمنطق، لقوله تعالى : [ما لهم به من علم إلا اتباع الظن] (النساء 157)

* الدعوى إلى التفكير والتأمل في آيات الله تعالى: وذلك من خلال ربط الإيمان بالتفكير، فكلما كان التفكير أعمق كان الإيمان بالله أقوى، لقوله تعالى: [سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ] (فصلت 53) هذا يكشف أن القرآن الكريم هو في حقيقته مفعم بالدعوى إلى النقد والمراجعة، ومن ثم يمكن التأكيد بأن النقد هو اتجاه عام اتجه له القرآن، من أجل ترسيخ مبدأ وثقافة النقد، فلا شك أن الأجواء النقدية التي هي من صنع القرآن الكريم والداعية إلى التأمل، خاصة باعتبار الآيات التي تنكر الاتباع من غير تدقيق والتي تدعو إلى التأكد والتيقن وعدم السير وراء الظن، لم تكن غائبة تماما من ذهنية العلامة ابن خلدون، بل شكلت منهلا ومنبعا رئيسيا لنزوعه نحو النقد.

كما لا يمكننا اغفال دور الفلسفة في توجيه العقل نحو النقد، وهو ما يظهر من خلال حديث ابن خلدون عن تعلقه بالفلسفة، وبشيخ الفلسفة في عصره والذي تتلمذ على يديه، وهو في مقتبل العمر ألا وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، الذي وصفه بقوله " الإمام الكبير العالم العلامة فخر الدين والدنيا حجة الإسلام والمسلمين غياث النفوس شيخ الجلالة وإمامها ..." (عبد الرحمن ا.، 1996، ص 60) ، كما يصفه بأنه شيخ العلوم لهذا يقول عنه في موضع آخر " ومنهم شيخ العلوم العقلية، أبو عبد الله محّمد بن إبراهيم الآبلي " (عبد الرحمن، ابن خلدون، 2004، ص 40) وهذا يدل على أن الفلسفة كان لها دورا كبيرا ولا يستهان به، في تشكيل العقلية النقدية لابن خلدون وتظهر تجليات النقد عند ابن خلدون في :

1.3 نقد العقل :

يَعتبر ابن خلدون العقل أعظم نعمة وهبها الله تعالى للإنسان، ومن هذا المنطلق أعطاه قيمة وعناية كبيرة، فهو في نظره ميزة يتميز بها عن المخلوقات الأخرى خاصة الحيوانية، وهنا نجده يميز بين العلوم النقلية والعلوم الشرعية، أو كما يسميها العلوم الوضعية والعلوم العقلية، وهنا يقول " اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر على صنفين: صنف طبيعي للإنسان أن يهتدي إليه بفكره وصنف نقلي يأخذه عن واضعه ..."، ويؤكد ابن خلدون أ ن العقل في نظر ابن خلدون مهما أوتي من القوة، فهو يظل عاجزا عن مقاربة المسائل الغيبية، كما يعتبر المسائل الإلهية والغيبية مصدرها ومنهجها الوحي الصحيح، وهنا يؤكد على أن اعتماد العقل في مقاربة تلك المسائل، هو

تضييع للجهود وتضليل للعقول وبالتالي، فإن حدود ومجال الممارسة العقلية هو التمييز والتجريب، رغم هذا فهو لا يستهين بالعقل أو يعمل على تأخير دور العقل، وهنا يقول : " وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه فهو ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها " (عبد الرحمن، ابن خلدون، 1967، ص 821)

2.3 نقد الفلسفة :

إضافة إلى انتقاده للعقل وحدوده المعرفية نجده ينتقد الفلسفة، باعتبارها عملا يتجلى فيه النظر والتعقل، فقد وضع لها فصلا بعنوان " في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها "، من حيث أنها تعطي العقل الحق في أن يبحث في العلم الإلهي، وعلم ما بعد الطبيعة وهذه " ذواتها مجهولة رأسا ولا يمكن التوصل إليها ولا البرهان عليها، " (عبد الرحمن، ابن خلدون، 1967، ص 821) ، فالملاحظ في الوهلة الأولى يعتقد بأن ابن خلدون يرفض الفلسفة، لكنه هو لا يقول بإبطالها كليا وإنما يقتصر نقده على فلسفة الإلهيات، أو ما وراء الطبيعة ومنه يمكن القول أن نقده للفلسفة، هو من جهة إعطائها للعقل الحق في البحث في غير مجاله الطبيعي، ومن ثم تحديد مجاله في الطبيعة والانسان.

وهنا يتجلى حضور الفكر الخلدوني عندما يتعلق الأمر بالمسائل التي أثارت اهتمام الأستاذ عبد الله شريط، خاصة تلك الطبيعة العلائقية التي تجمع بين مفهومي الفلسفة و الأيديولوجيا ،و يعتبر كتابه :" المشكلة الأيدولوجية وقضايا التنمية"، من أبرز المصنّفات التي حلّل فيها هذه المشكلة بالعرض والتحليل و النقد، وقد عالج في هذا الكتاب مقدّمة بعنوان تهافت الفكر السياسي في العالم يدافع فيها عن دور الفلسفة في المجتمع و الواقع، وأنها بعيدة كل البعد عن المفهوم الذي يعتبرها مجرد تجريدات متافيزيقية يقول " إنّ الفلسفة اليوم قد تحرّرت من كثير من المتاهات الماورائية و المشكلات التجريدية التي غرقت فيها عشرات القرون " (عبد الله، 2009، ص 127) و هي اليوم تستطيع أن تكون واقعية ولكن هذه الواقعية لا تعني فقط وصف الواقع ،و لكنها تعني أوّلا الاهتمام بمشاغل الناس الفكرية المرتبطة بحياتهم الواقعية المعاشة ، ومعناها ثانيا استكشاف المستقبل من خلال نبضات الحياة الراهنة بطريقة تجاوز الواقع ، وهذا ينطبق على العام المتقدّم .

لكن للأسف الشديد فان الفلسفة في العالم الثالث المتخلّف لا تؤدّي هذا الدور، لأنها لم تستطع تجاوز العوائق الذاتية المتمثلة في المعطلات الخرافية والانفعالية المفرطة سواء على مستوى الجماهير أو الساسة. فالفلسفة الحقّة في رأي المفكر شريط هي الفلسفة العملية (النفعية) التي تكون وظيفتها تغيير الواقع ، وبهذا فالفلسفة و الايدولوجية وجهين لحقيقة واحدة ،وهي تغيير الواقع إلى ما يخدم المجتمع و قضاياه ، بل هي بناء مستقبلي تسعى إليه كل أمّة في تطورها و نموها .

إن ما جعل الفلسفة تؤدي وظيفتها في المجتمعات الغربيّة هو ما يسودها من روح العقلانية التي استمدتها من الفكر العلمي التي تحيط بها في مختلف مناخاتها العائلية، الاجتماعية، الثقافية و السياسية و الاقتصادية و كلها لا تتاح إلّا بالعقل عكس المجتمعات المتخلفة فإن الأفكار فيها خاضعة لما وراء الغيب، لأنها تكتسب سلطة روحية فهي تختلط علينا بالسلطة الفكرية و تتلابس معها، أو عندما تأتينا من العالم المتقدم الذي نحن معقّدُون أمامه، وفي اعتقاد **الدكتور شريط**، فإن الفلسفة قادرة على تحقيق ذلك، إذ نجده يؤكد أن مهمة الفلسفة هي أن تنتقد الأهداف القائمة في ضوء تطورات العلم و التغيرات الاجتماعية ، وإبراز القيم المرغوب فيها ، يؤكد **الدكتور عبد الله شريط** أن شعوب العالم الثالث التي لا تشبع خبزا ، لا يمكنها أن تفكّر بالطريقة نفسها.

2.3 نقد كتابة التاريخ :

وقد كان علم التاريخ من بين الحقول المعرفية، التي نالت حظا وافرا من النقد، ذلك أن التاريخ عنده، " فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين، من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم .." (عبد الرحمن، ابن خلدون، 1967، ص 821) ، فابن خلدون يقدم لنا أهمية كبيرة للتاريخ، ويعتبر أنه لا يمكنه أداء ذلك الدور، ما لم يتزود المؤرخ بجملة المعارف لا تجعله يقتصر على سرد الأحداث والوقائع بقدر ما تمكنه من أن يبحث في عللها وأسبابها وهذا كله سيحقق نفعا في المستقبل، من خلال بناء المجتمعات والدول على أسس صحيحة وصلبة، ويصف الجابري علم التاريخ على حسب ابن خلدون بقوله " هذا التصور الجديد الواسع الشامل لموضوع التاريخ يطرح قضية المنهج، بل يطرح أكثر من ذلك: المقدمات والمبادئ التي يجب أن يستند عليها هذا العلم. وابن خلدون هو واضح في هذا كل الوضوح " (محمد عابد، 1979، ص 77)

يتبنى المفكر عبد الله شريط نفس رؤية مفكر النهضة الراحل الأستاذ. مالك بن نبي حيث يرى أنّ هذه المشكلة قد بدأت قبل بداية حرب التحرير، أي منذ تكلفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و على رأسها المجاهدين عبد الحميدي باديس والبشير الابراهيمي بحمل لواء هذه المهمة لتغير الإنسان الجزائري من الداخل سياسيا و ثقافيا وبعث روح الوطنية فيه لمقاومة الاستعمار الفرنسي، عكس القادة السياسيين في الحركة الوطنية الذين اعتبروا أي محاولة لتغيير الانسان الجزائري في ظل الاستعمار أمر مستحيل ، وهذا الخلاف يراه عبد الله شريط شبيه بالخلاف نفسه الذي كان بين جمال الدين الافغاني و محمد عبده في رؤية كل منهما إلى مسألة التغيير بالنسبة إلى الإنسان العربي في عصرهما. والسؤال الجوهري والحيوي الذي يطرحه المفكر هو هل نغير الانسان أولا لنجعله قادرا على تغيير المحيط، أم نغير محيطه أوّلا، و بعد ذلك نجده قد تغيّر من تلقاء نفسه بتأثير تغيّر المحيط؟

يرى المفكر **عبد الله شريط** أنّ الإنسان العربي عموما والجزائري خصوصا يعيش تناقضا في ذهنيته وقناعاته، وتناقضا بين النظر والممارسة، وبين الواقع والضمير، إذ لا يمتلك فلسفة حقيقية تعبر عن إيديولوجية واضحة. وهذا ما يؤكد عليه **الأستاذ مالك بن نبي**، حينما يقول " إن القيمة الأولى في نجاح أي مشروع اقتصادي هي **الإنسان**" (عامر رشيد، 2000، ص 362)،في اظهار قدراته الإنتاجية والتجارية و التسويقية و في نفس الوقت الدفاع عن رموزه و وجوده و هويته في ظل العولمة التي تخترق القوميات و تسعى الى تقويضها.

2.3 نقد علم الكلام :

يعرف ابن خلدون علم الكلام بقوله " هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات من مذاهب السلف وأهل السنة " (عبد الرحمن، ابن خلدون، 1967، ص 821) ، ومن خلال هذا التعريف يمكن التأكيد على أن علم الكلام، كان هدفه الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وانتقده العلامة ابن خلدون من خلال أنه هناك مغالات في الخلط بين علم الكلام والفلسفة، وكذلك عدم الحاجة إليه لانعدام حاجة العصر إليه.

يعتقد المفكر شريط أن المجتمع الإسلامي المعاصر يعاني تشتتا في الأفكار، و تعدّدا في التيارات العقائدية التي تغزو عن طريق الإعلام و تؤثر على تربية الأبناء في الأسرة، فكيف يواجه عالم الدين الإسلامي هذا التشتّت؟ وما مدى مشاركته باعتباره عالما دينيا وبوصفه مثقفا يساهم في معالجة المواضيع الحية الصاخبة التي تمس حياة الناس و يحدد منها موقفه، بوصفه يحمل عقيدة معينة من العقائد و الثقافات الكبرى المنتشرة في العالم المعاصر وتعتنقها مئات الملايين من البشر ؟ هل العالِم الديني عندنا عملي في حياته و تفكيره ؟

يرد شريط على هذه الأسئلة من خلال دعوته لعلماء الدين الإسلامي الى ضرورة التبليغ و الدعوة خارج مؤسسة المسجد من أجل توصيل الدعوة إلى أكبر عدد ممكن من الناس، لأنّ الكم الهائل من الناس هم خارج المسجد و هو عرضة للسموم التي تبثها وسائل الإعلام، و التي هي عبارة عن مغالطات القصد منها افساد عقول الشباب و زرع فكر الطائفية في نفوسهم ، تفعيل دور **الزكاة** في المجتمع لمحو الطبقية والتي لا بد أن تجند لها كل الفئات المؤسسة المسجدية (الأئمة ، حفاظ القران ، الفقهاء... الخ) ويقترح **شريط** إنشاء مؤسسة كبرى على مستوى العالم الإسلامي، يشرف عليها علماء، لجمع المساعدات من مختلف الدول الإسلامية لمساعدة المغتربين المسلمين في الدول التي لا تدين بدين الإسلام، من أجل استثمارها فيما يمكن أن يحافظ على هويتهم وشخصيتهم الإسلامية كبناء مدارس ومعاهد وإلقاء محاضرات ، ودروس ، وغير ذلك.

2.3 نقد علم التصوف:

ويرى ابن خلدون أن التصوف هو الزهد في الاقبال على الدنيا وملذاتها وتركها والتقرب من الله سبحانه وتعالى، وهو الأساس الذي بني عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، تربية الصحابة

وأفراد المجتمع الإسلامي الأول، وما يمكن تأكيده هو أن التصوف كان واسع الانتشار في عصره، فهو انتقد التصوف لوضع بعض الضوابط، التي تهدف إلى اصلاحه فيصبح، إذا ما تمت مراعاة هذه الضوابط مقبولا، ومنها أن السلوك الصوفي لا يجب أن يخرج عن الطاعة والاخلاص لله، وأن يكون مبنيا على الايمان، وكذلك على المريد السالك أن يحاسب نفسه في سائر أعماله، حتى لا يقع منه تقصير ..الخ.

هذا عن بروز المنهج النقدي في مقدمة ابن خلدون الشهيرة والعلوم التي أخضعها للنقد، هذا ما جعل الدكتور عبد الله شريط يأخذ هذا المنهج النقدي، ويسقطه على كل كتاباته مثلما أسقطه ابن خلدون في مجال الفلسفة والتربية والتعليم وعلم التصوف وعلم الكلام ... الخ، كذلك شريط أخضع معظم العلوم والمعارف للنقد الخلدوني، وفي جميع المجالات منها السياسي والثقافي والتربوي وحتى الاقتصادي وسأشير في هذ المقال عن تطبيق المنهج النقدي، في كل من الجانب السياسي والثقافي من خلال ابتعاد الدكتور عبد الله شريط عن الشطحات الفلسفية الماورائية، والالتزام بالموضوعية والواقعية، في الفكر العربي المعاصر هذا جعلت منه مفكر العصر، الذي تسلح بسلاح النقد البناء وليس الهدام، من أجل البحث عن مواطن الخلل، ومن ثم إعادة الإصلاح أي الكشف عن الداء وإعطاء الدواء.

4- تحليل الواقع السياسي المعاصر من خلال استدعاء ابن خلدون

لقد جعل العلامة ابن خلدون من الدولة العربية محور فلسفته الاجتماعية، وقد انفرد بهذه القضية كونه الفيلسوف الاسلامي الوحيد من زاوية شريط، الذي نظر إليها في ضوء واقعها التاريخي مبتعدا في ذلك عن الطوباوية والمثالية، وهو الوحيد في نظر شريط الذي استطاع الانفراد بمنهج علمي وصفي تفسيري، فعند اعتبار شريط ابن خلدون فيلسوفا فهو هنا يلتقي مع " مهدي عامل " في كتابه " علمية الفكر الخلدوني "، عندما أوضح عبقرية ابن خلدون في تجاوز منعرج حاسم بنجاح، حينما استطاع أن ينتقل بالفكر الانساني الى أرض شيد عليها، ووضع معالم علم العمران البشري، " فوجود النية الصادقة و الرغبة في تجسيدها عوامل تساهم في استغلال الإمكانيات المتوفرة و دفع عجلة البحث إلى الأمام " (بوفلجة، 2005، ص 105)

ويأتي مفهوم الدولة العربية عند ابن خلدون من منظور عبد الله شريط، قائم على وجود فجوة عميقة بين الدولة والحكومة، باعتبار وجود تعارض صريح أفرزه الواقع التاريخي، بين مصالح الحكام والرعية، سواء في دول المغرب أو المشرق، فابن خلدون لا يعتبر هذا التعرض خطيرا بل دعا إلى تجاوزه هذا دفع بابن خلدون إلى طرح سؤال جوهري وهو كيف يتم الحكم؟

لقد ركز المفكر عبد الله شريط فيما يخص الحديث عن الدولة العربية، من زاوية العلامة ابن خلدون على نقاط أساسية تمثلت في:

- الأخلاق والعصبية في الدولة
- العصبية والعقيدة في الدولة الاسلامية
- التشتت عبر التاريخ
- النجاح والفشل في الدولة
- نقاط الضعف في الفكر الخلدوني بخصوص الدولة. (حمودة، 2004، ص 101)

ومن هذا يمكن القول أن شريط أرجع هذا الى الأسباب التالية :

الفساد الذي ساد الأمة العربية جذوره تعود الى اتخاذ الترف والجاه هدفا للحكم، وسيادة الدولة ومن ثم تكون النتيجة قاسية وهي الانحلال والتلاشي.

يَعتبر شريط أن الحضارة العربية ومواقف المفكرين منها، ما عدا موقف ابن خلدون الذي يدافع عنه شريط، هي مواقف يعتريها النقص والاهمال، فالدكتور شريط يرى بأن ابن خلدون لم ينظر إلى الدين باعتباره أصل الدولة، فهو يعتبر المؤسس الحقيقي له هو طبيعة الحياة الاجتماعية، باعتبار أن الانسان قد جُبل على التجمع مع غيره، ونظر للطبيعة الشريرة الموجودة في الانسان، فقد لجأ إلى الوازع أو السلطان، يحفظ الحقوق ويفي بالواجبات، وهذا ما يكفل للناس الأمن والاستقرار، ويستدل شريط في قوله على " أن المجوس الذين لا يملكون كتابا، استطاعوا تشييد الدول والأثار من غير الحاجة إلى دين سماوي يتخذونه كمرجعية تشريعية " (عبد الله شريط، 1981، ص 106) ، غير أن هذا لا ينكر دور الدين في قيام الدولة، ففضلا عن قطرة الاجتماع بين بني البشر، إلا أن ابن خلدون يرى أن العصبية هي دعامة الملك وعماده، أي أن هذا الملك فهو بحاجة إلى قوة وخلق متين يكفل له الدوام والاستمرار، قوامه تطبيق العدل، والوفاء بالعهد، وصون العرض، والتزام الشرع، والصبر على المكاره فإن زالت هذه الوصائف عن الحاكم آل حكمه إلى الزوال، وللدين دور كبير في تقوية الضمير الأخلاقي للحاكم، وهو ما يسميه ابن خلدون بالوازع الداخلي، لكن هذا الوازع من منظور الدكتور عبد الله شريط لا يكفي لبناء الدولة، ما لم تكن هناك نظم سياسية عقلية تدعمه. (عبد الله شريط، 1981، ص 106)

ويلتقي الدكتور عبد الله شريط مع المفكر المغربي محمد عابد الجابري، في فكرة ضعف النظام السياسي لدولة الاسلام، والذي تجسد في تشتتها وعدم استقرارها، إلا أن هذا الضعف لا يرجع من وجهة نظر الجابري، إلى غياب دستور يقنن الحياة السياسية كما يعتقد المفكر شريط، وإنما يرجع الأمر إلى مركزية الخلافة التي لا تتوافق مع طبيعة المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت، فالدولة الاسلامية استطاعت أن تجمع عددا هائلا من المناطق الجغرافية، إضافة إلى ذلك أنها ضمت عددا هائلا من الأجناس، هذا ما جعل المجتمع الإسلامي مجتمع كثرة، فلما فصّل المجتمع الإسلامي عن طريق الخلافة في هيكله، فقد كان أساسه مجتمع قبلي ضيق، لكنه توسع وانتشر

ليضم عالما شاملا وكاملا من المعطيات المتناقضة والمختلفة، هذا ما عجل بأن يكون مفروضا على واقع أوسع منه بكثير، وكانت النتيجة " حالة التشتت التي عصفت بدولة الاسلام " (محمد عابد الجابري، 2011، ص 274)

ويفسر الدكتور شريط سبب تشتت الدولة العربية، في غياب السياسة العقلية لا الشرعية، ويعطي نموذج على ذلك فدولة اليونان رغم فساد معاييرهم الأخلاقية، التي كانت تقوم على الفوارق الطبيعية والتميز الطبقي بين أفراد المجتمع، إلا أنهم استطاعوا الحفاظ على شؤونهم وأمورهم السياسية على قدر كبير من العقلانية والرصانة والحرية والشفافية، بينما في بلاد المسلمين فقد علقوا أمالهم على شخصية واحدة مستعينين بذكائه وقدرته وشخصيته وأخلاقه، لقد وهبهم الاسلام أمورا لم يتفطنوا إليها إلى أن تفطن إليها الغرب في العصر الحديث، وهنا يتأسف شريط على الدولة العربية باعتبارها لا تزال تتخبط في ضعفها الفكري وإلى يومنا هذا، إضافة إلى " ضحالتها الأخلاقية وانقطاعها عن المجتمع وفوضى إدارتها، وضعف اقتصادها، وفقر تمثيلها الشعبي، وعدم احترامها لأبسط قواعد الشورى ..الخ" (عبد الله شريط، 1975، ص 05)

1.4 موقف شريط من ظاهرة التشتت في الدولة العربية

إن ما تميزت به الدولة العربية من ظاهرت التشتت والتمزق، من وجهة نظر الدكتور عبد الله شريط، راجع إلى أنها لم تنهض في أصلها على أساس أخلاقي أو سياسي أو ديني، فهي لم تقم على أساس من المسؤولية والرغبة في بناء المجد الحضاري، بل قامت على حياة التنعم، وما تقتضيه الحياة المادية من ترف ونزهة كان من وراء ذلك الملك وهذا مآلها بطبيعة الحال، ويبرر هذا المفكر شريط بالرجوع إلى دولة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، التي نشأت من العصبية الدينية لا القبلية، فقد عرفت استقرارا وقوة على يد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، فإذا كان ابن خلدون يلقي اللوم والمسؤولية بالنسبة لخراب الدولة على الحضر (أهل المدينة)، الذين كانت غايتهم من الدولة سوى حياة الترف والراحة، إذ لا يمتلكون فلسفة حقيقية تعبر عن إيديولوجية واضحة. وهذا ما يؤكد عليه **الأستاذ مالك بن نبي**، حينما يقول " إن القيمة الأولى في نجاح أي مشروع إقتصادي هي **الإنسان**" (عامر رشيد، 2000، ص 362) فإن الدكتور عبد الله شريط يحمل المسؤولية للإنسان العربي، سواء في البداوة أو في الحضارة معا، ويعيب عليهم معا وهذا ما يبرر أن الدولة عند العرب، كانت غاية في ذاتها لا وسيلة تنظيم اجتماعي، ولم يخرج عن هذه القاعدة في نظر شريط، إلا دولة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الأوائل، الذين نظروا إلى الدولة على أنها مسؤولية كبيرة وعبء ثقيل، هذا ما عجل بانتشار الاسلام في جميع أرجاء العالم، بعد ذلك تحولت الدولة إلى غنيمة، وفقد مفهومها الحقيقي والجوهري الذي قامت عليه، والعجيب في الأمر أن هذا المفهوم لازال سائدا إلى يومنا، هذا فرغم أن الدولة العصرية هي دولة قانون، إلا أن واقع الدولة فوق القانون تتحكم فيه وتوجهه كما تشاء.

لقد توصل المفكر شريط إلى أن التحليلات التي قدمها العلامة ابن خلدون، لا تخلوا من عيوب وقصر في النظر، فقد صور للقارئ ضعف الدولة العربية، وعجزها عن التحكم في واقعها على أنه حتمية اجتماعية لا يجب الهروب منها، ولو كان ذلك صحيحا لنجح النبي محمد عليه الصلاة والسلام في تغير واقع أمته، ولما نجح خلفائه الأوائل في بناء دولة إسلامية، قوية امتدت من الخليج إلى المحيط فقد نجح العلامة ابن خلدون في تبيان أن تهافت الدولة العربية، راجع إلى تشتت العصبية القبلية والانحراف عن حكم الشريعة، وتخاذل الحضر وتفسخهم الأخلاقي، لكن " غاب عنه أن يبز ضعف المفكرين المسلمين الذين عجزوا عن وضع دستور سياسي متجدد يستمد روحه من الاسلام" (عبد الله، 1975، ص 05)

2.4 الراهنية الخلدونية من منظور المفكر شريط :

يهتدي شريط إلى فكرة أساسية مفادها، أن النظرة النقدية لواقع المجتمعات العربية المعاصرة توضح أن مقوماتها، لم تتغير كثيرا عن زمن ابن خلدون، وعن التشخيص الذي حملته مقدمته الشهيرة، حيث أن هذه المجتمعات لازالت تقوم على العصبية القبلية، وعلى الطائفية والإثنية والعشائرية، كما لايزال الصراع والهيمنة على السلطة هو الذي يحكم مسار هذه الدولة، ففي النصف الثاني من القرن العشرين قطعت الدولة العربية، أشواطا في مسار المشروع القومي العربي في بناء الدولة والمجتمع، لكن فشل هذا المشروع أعاد بعث العصبيات من جديد، وهذا ما جعل مفاهيم ابن خلدون تعود إلى الساحة العربية المعاصرة.

وما يثبت راهنية أفكار ابن خلدون في وقتنا الحالي، هو ما يعرفه واقع الدول العربية اليوم، وما تشهده من صراعات ونزاعات، فقد وضح العلامة ابن خلدون أسباب انهيار الدولة العربية، أما عن الراهن في أرائه من زاوية المفكر شريط، هو التأكيد على العوامل الداخلية في انهيار الدولة العربية، رغم أن شريط لا يستبعد الغزو الخارجي الذي سبب انهيار الدولة لكنه يذهب إلى أبعد من ذلك عندما اعتبر أن هذا الغزو ينجح بقدر وجود التفكك داخل الدولة العربية في حد ذاتها، وهنا يصعب على السلطة أن تعيد توحيد القوى الاجتماعية والسياسية.

إن من بين ما انتبه إليه ابن خلدون في وقته هو انتشار الطغيان، والفساد واحتكار السلطة وفرض ضرائب على الشعب، كان سببا في اضمحلال الدولة، وانهيارها فإنقاذ الحاكم قائم على اصلاح الحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية والثقافية، وهي النصيحة التي يعتبرها الأستاذ شريط مهمة وفعالة في وقتنا الحالي. أي أنّ : " الاعتماد الأساسي في التنمية هو الاعتماد على البشر فهم صانعوا التنمية ويجب أن يكونوا هدفها " (ابراهيم، 2001، ص 15)

لقد كشف العلامة ابن خلدون عن عيوب الانسان العربي، ونقاط ضعفه بفكر علمي متحرر حيث أنه لم يخشى بتاتا أن يتهم في يوم من الأيام بالتنكر لأصله، وأمته ولتراثها وحضارتها، ومن هنا يدعو شريط النخبة العربية المثقفة للتحرر من قيود إخفاء العيوب، والولوج إلى مرحلة من

النضج العقلي، والجرأة على الكشف على ما تحت الثوب من حقائق قاتمة مخجلة، ويفسر شريط ما يحدث في الدولة العربية اليوم من فوضى واستبداد وفساد، لا يمكن اعتباره نكسة طارئة ألمت بالدولة العربية، وإنما هو استمرار منطقي وتاريخي وحضاري لماض قاتم لابد من تجاوزه.

5- الثورة الثقافية من منظور المفكر شريط

1.5 الثقافة الجزائرية في عيون الدكتور عبد الله شريط :

تعتبر الفلسفة الاجتماعية الخلدونية من أهم الاهتمامات، التي نلمسها في كتابات ومتن الأستاذ شريط، والتي تحمل في طياتها فكرا ناقدا تعكس مدى خصوبة وأصالة الثقافة، التي طرأت على فلسفة شريط، لهذا قراءته لقضايا التاريخ الإسلامي لم تكن قراءة سطحية، ومن ثم لم يترك المجال للمثقف العربي حتى يكون أداة مترجمة للحضارة الغربية، ونقل ومحاكاة المادة المعرفية كما هي، لهذا كانت غايته بعث الروح والأمل في المجتمع الجزائري، بصفة خاصة والمجتمع العربي بصفة عامة الى حركة التاريخ والوعي الحضاري في إطار مشروعه النهضوي، لهذا كان هدفه واضحا وهو الكشف عن معالم الفلسفة الاجتماعية الخلدونية المعاصرة.

يؤكد شريط أنه لا معنى للثقافة في انفصالها عن التربية، وكذا التوجيه داخل المجتمع إذ أنها تأخذ منه وتعطيه فقد اعتبر الأستاذ الثقافة الجزائرية، منفعلة وليست فاعلة كونها تسود في المجتمع الجزائري ثقافة غير حركية، وليست منتجة هذا ما دفعه إلى انتقادها وتقويمها، مبرزا أهم العوائق التي تعرقل نموه وتقدمه، منها ما هو مرتبط بعائق الذهنيات، أو كما سماه المشكلة الذهنية وخطورتها تكمن في تكتسي طابع ذهني عام وتزدحم فيه المتناقضات، " ومن ثمة كانت مشكلة معقدة متشعبة وذات عروق بعيدة في أغوار التاريخ " (عبد الله شريط، 1981، ص 106) ، كذلك حدد شريط هذه المشكلة بأنها موجودة في الجامعة التي لم تصبح جامعة جزائرية قومية، وإنما هي جامعة أجنبية في قرارتها ومواد دراستها، هذا الوضع جعلنا لا زلنا في القرون الوسطى، فانقطعنا عن الماضي والحاضر في الوقت نفسه، وعجزنا عن تأدية رسالتنا نحو الوطن وتاريخنا بصفة عامة، أما من الناحية التربوية فإنه همشنا وضع طلبتنا من خلال أننا لم نعد نفيدهم ببضاعة علمية أو ثقافية واضحة، وبسيطة تتماشى مع إمكانياتهم الذهنية التي لم تتهيأ في وسط عائلي أو اجتماعي بل على الطريقة الفرنسية لهذا شريط يقسم الطبقة المثقفة إلى قسمين، قسم طلب العلم من غيره فناله، إلا أن الآخر أو الغير طبعه بطبعه، وهذه الفئة أهملت لغتها الأصلية وهي اللغة العربية، واكتفت باستهلاك لغة الأجانب وقسم آخر طلب العلم وناله، ولم يحسن التصرف فيه لنفع مجتمعه ووسطه، فهذا القسم أخذ لغته الأم وهي اللغة العربية، ولم يعمل على التصرف فيها، واكتفى باستهلاك ما خلفه الأجداد حوله من العلوم، لكن رغم ذلك إلا أن هذان القسمان لا يحلان أزمة الثقافة والوعي لدى الشعب، لأن المجتمع لا يستطيع أن يحيا بلغة أو ثقافة أجنبية عنه، كما أنه لا يستطيع أن يحيا بلغة تجمدت قواعدها.

هناك عائق آخر ساهم في تأخر الثقافة الجزائرية، ويعتبر أحد معيقات الثقافة التربوية خاصة في الجزائر ألا وهو الجمود، يرى الدكتور عبد الله شريط أن النهضة الثقافية لا تقوم إلا بالعودة إلى الاهتمام باللغة العربية، كونها حاملة للثقافة الخصوصية والمحلية، وبها تنتقل خبرة الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة، وبالتالي " فإن قضية التعريب هي قضية حضارة وفكر، ومن ثمة فهي قضية وجود أو لا وجود " (عبد الله شريط، 1981، ص 106)، وهنا لابد من الإشادة بمواقف الرجل، كونه دافع عن اللغة العربية ووقف في وجه المتربصين بها، حيث عرض هذه المواقف في كثير من كتاباته خاصة في كتابه المشهور المعنون ب " نظرية حول سياسة التعليم والتعريب "، فقد كتب مقالا ضم فيه دعاة التغريب من جهة ودعاة التعريب من جهة أخرى، حيث أنه وصف أعداء اللغة العربية، بأنهم إذا كان من المعربين عندنا من يخنق العربية بمعانقتها، فإن عندنا أيضا من المفرنسين من يهين هذه العربية عندما يدير إليها ظهره، ويرفض التكلم بها حتى مع أفراد عائلته، فقد وصف الدكتور مناهج التربية بالجمود في تعليم اللغة العربية، خاصة إذا تم مقارنتها بالمناهج المتعلقة باللغات الأجنبية، وأصبحت هذه الأخيرة مُرحب بها لدى أبنائنا بالمقابل نجد اللغة العربية، أصبحت غير مرغوب فيها، هذا القصور الذي شهدته اللغة العربية، انعكس عمليا على المعلمين الذين أصبحوا يعتمدون على الطريقة التقليدية، التي تقوم على الحشو، وهذا انعكس سلبا على التلميذ الذين نجح في الحفظ وفشل بالتكلم والنطق والكتابة الصحيحة للغته.

2.5 الواقعية الفلسفية من زاوية المفكر شريط

بداية لابد من الوقوف على مفهومين أساسين، كان لهما نصيبا وافرا من الدراسة في كتابات عبد الله شريط هما الحداثة والواقعية، فالحداثة من مدلولها الاصطلاحي من الصعب والعسير تطويق معناها وضبط مكوناتها لكنه بالمقابل من اليسر والسهل تحديد بعض معالمها وعلاماتها في بعض المجلات، فالحداثة على حد تعبير الدكتور محمد سبيلا هي " ظهور ملامح المجتمع الحديث المتميز بدرجة معينة من التقنية والعقلانية والتعدد والتفتح، والحداثة كونيا هي ظهور المجتمع البرجوازي الغربي الحديث في اطار ما يسمى بالنهضة الغربية أو الأوربية " (محمد، 2009، ص 123)

أما الواقعية فهي في نظر شريط فتتأسس على رفضه للمثالية، لأن شريط يريد أن يجعل من الفلسفة أن تهتم بالجانب الواقعي، والواقعية هنا تعني الابتعاد عن الشطحات الفلسفية البعيد عن أرض الواقع، لذلك شريط يستدعي ابن خلدون لأنه حلل مشاكل الدولة العربية بطريقة علمية واقعية رصينة، وبمنهجية لم يسبقه إليها أحد أصبح من منظور شريط ذلك المعلم الأكبر الذي وضع العلماء على الطريق الصحيح لدارسة الواقع الاجتماعي، بعيدا عن الإرتجالية والعشوائية، أو التفسيرات اللاهوتية والميتافيزيقية. (وسيلة يعيش، 28-06-2016، ص 306)

الفلسفة الخلدونية تشترك مع فلسفة شريط في بناء المعرفة العلمية، التي تتأسس على النقد البناء، فالفلسفة التي أرادها شريط لا تكمن في تقديم الحلول الجاهزة للإشكاليات، التي

تطرح على مستوى بلدنا أو على مستوى البلدان العربية، وهنا نستنجد بمقولة كارل ياسبرس " ان الأسئلة في الفلسفة أهم من الأجوبة وكل جواب في الفلسفة يتحول إلى سؤال"، والفلسفة هنا ليست علما تجريبيا، بل تساؤل نقدي بناء ينصب ويتمحور على المنتوج الثقافي، لهذا يجعل شريط مسألة الحداثة والأصالة، من بين النقاط الأساسية والمحاور الجوهرية التي عالجها الفكر العربي المعاصر، لقد دعا شريط إلى تحطيم فكرة الأخلاقية والشمولية، التي كانت ظاهرة في فلسفة الأنساق، وتخليص الفلسفة من النسقية المضيقة، ومحاربة المحاولات التجريدية المبالغة في الماورائيات. (عبد الله شريط، 1981، ص 106)

لقد حاول عبد الله شريط تخليص الفلسفة من النزعات المثالية، كمثالية أفلاطون التي تتأسس على عالم المثل معتبرا العقل مطلقا، والمثالية الديكارتية المؤسسة على فكرة البداهة والوضوح، لهذا كان متأنيا في تخليص الفلسفة، من هذه الشطحات وجعلها أكثر موضوعية، وهنا يظهر المشروع الفلسفي لدى شريط، المبني على الأساليب الصحيحة والمناهج العلمية، التي تمكننا من فهم السلوك البشري في مستويات مختلفة، (السياسية والاقتصادية، والأخلاقية والثقافية والتربوية، وما يلاحظ على شريط هو الإلمام بالقوانين التي تتحكم في الظواهر. (عبد الله، شريط، 1975، ص 05)

إن شريط أراد أن يخضع سلوك البشر الى المفاهيم والمقاييس العلمية، أي محاولة إخراجه من قوقعة الذات والتعصب والانغلاق الفكري، لقد أراد شريط تغير المشهد الفلسفي على المستوى الاجتماعي، مراعيا الخصوصيات الثقافية الاسلامية نابعة من فلسفة جزائرية، فثقافته الواسعة أعطته إدراكا وفهما يتسم بالشمولية والتعميم، وهذا ما أكده الدكتور محمود قاسم في قوله " أن شريط وطني صادق وعربي مسلم أصيل، يبادر إلى فضح كل محاولة رجعية في وطننا العربي الكبير " (محمود، 2014، ص 12) ، فصيته بلغ حتى المشرق الاسلامي، إذ أن مكانته تجاوزت حدود بلاده إذ عرف بالمثقف البارع، هذا راجع إلى إيمانه بوطنيته واسلامه، وخصوصيته ثقافته، وكان شعاره قوله تعالى : [إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَومٍ حَتَى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ] (الرعد 11) ، هذا تصور نجده مشابها عند المفكر مالك بن نبي، عندما يقول " غير نفسك يتغير التاريخ" هنا يدعو شريط الى نبذ التقليد والاستسلام وهنا تكمن حقيقة التفلسف، لقد بالغ شريط في احتكاكه بمجتمعه، والاطلاع على المشكلات التي يعانيها في نهضته الاقتصادية والتكنولوجية، وذلك من خلال ربط الفلسفة بالواقع واستخراج مناهج في قمة الدقة واليقين وذلك من أجل اصدار أحكاما ونتائج جد يقينية لا تخضع للتصورات الخيالية الوهمية وبطبيعة الحال كان الواقع الاجتماعي موضوعا للدراسة.

هذه هي الواقعية الفلسفية التي أرادها المفكر شريط، والتي هي مرتبطة بالواقع اليومي وبالواقع الحضاري لكل المجتمعات، رغم أنه يتبادر إلى أذهانا أن الفلسفة لا تحل مشاكلنا، مثلما يحلها العلم (الطب، الميكانيكا، البيولوجيا)، فإن نظرتها تبقى أوسع من الراهن، باعتبارها تنطلق

منه ولأجله ونختم بقول شريط " ... الفلسفة لا تحل مشاكل الحياة اليومية هذا صحيح، ولكنها تخلق الفكر الذي يحل مشاكل القرون والأجيال، ويتمرس على صعاب الحياة وينظم المجتمع، ويحدد العلاقات بين الوطن والانسان ...، لا تحل المشاكل العاجلة ولكن الحضارة المتشبعة بها هي التي تخطو الخطوات السريعة في الرقي " (عبد الله، شريط، 1981، ص 290)

6-خاتمة:

ما يمكن قوله في الأخير هو أنه استطاع شريط بفضل تنقيبه وبحثه الجاد، أن يرسم طريق النجاح نحو فكر حر مبني على قواعد سليمة، على الأقل استطاع أن يطلعنا على تاريخ مفكرينا، كما أن تأثره بالمفكر ابن خلدون جعل منه مفكرا منغمسا في الثقافة العربية الاسلامية، رافعا شعار الحضارة والنهضة، دون اسقاط للمناهج الغربية على التراث العربي مثلما فعل بعض المفكرين، كأمثال أركون فهذا يجعلنا نحكم على أن شريط أنه حافظ على الخصوصية العربية والهوية الوطنية والدينية، ومن هنا فتبقى الفرضية الأصح هي التي تؤكد على الحضور المحلي في كتابات المفكرين المعاصرين، وعلى رأسهم المفكر شريط، حتى تقدم لهم يد المساعدة للمضي قدما في بناء مشروع حداثي يراعي القيم المحلية وكذا الهوية، دون اللجوء الى المركزية الغربية، التي ربما مناهجها لا تتماشى مع هوية المجتمع العربي.

فما يمكن الوصول إليه هو أن الفكر الخلدوني وليد البيئة الاجتماعية العربية الاسلامية، فقد استطاع من خلال معايشته للواقع العربي، ومشاركته الفعالة في أحداثها السياسية، أن يقدم لنا اسهاما ذا عمق حضاري، مرتبط بإطار زماني ومكاني، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ترتقي إليه النظريات السوسيولوجية الغربية، لهذا أصبح ضرورة ملحة على مثقفينا أن يخطوا وأن يحذوا على حذوه في انتاج المعارف، لا في استيرادها جاهزة، وهذا ما يدفع بتحرر النخبة العربية المثقفة من جمودها وخمولها، ومن ثم تستطيع مواجهة المشكلات برؤية نقدية موضوعية، وهذا ما فعله مفكرنا الجزائري الدكتور عبد الله شريط، عندما قرأ التراث المعاصر قراءة خلدونية فقد أثمر نتيجة مهمة وهي أن الأوضاع السياسية للدول، وتميز الحكام بالأخلاق الفاسدة، ومن ثمة عجز النخبة المثقفة عن نقد الواقع، وبالتالي محاولة إيجاد آليات النهوض به، لا يزال مستمر وإلى يومنا هذا، مما يؤكد الحضور الخلدوني في الوقت الراهن.

قائمة المصادر والمراجع :

1. القرآن الكريم.

2 . عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، موفم للنشر، الجزائر، 2008.

3. اسماعيل زروخي، دراسات في الفكر العربي المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة وشركة دار الهدى عين مليلة، 2002.

4. حمودة سعيدي، مقال عن المعالم الفلسفة الخلدونية الاجتماعية عند الدكتور عبد الله شريط أعمال الدكتور عبد الله شريط الفكرية والفلسفية في ميزان الباحثين الجامعيين، الندوة التكريمية في مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، 19-20 – ماي – 2004، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

5. عبد الرحمان سلامة (ابن الدوايمة)، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

6. عبد الرحمان ابن خلدون، الباب المحصل في أصول الدين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1996.

7. عبد الرحمان ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

8. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة (المجلد الأول)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967.

9. محمد عابد الجابري، أبستمولوجيا المعقول واللامعقول في مقدمة ابن خلدون، أعمال ندوة ابن خلدون، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1979.

10. عامر رشيد مبيض ، موسوعة الثقافة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية- مصطلحات و مفاهيم -، دار المعارف للنشر، دمشق، ط1، 2000.

11. عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، ط 2، الجزائر، 1981.

12. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة : معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011.

13. عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

14 . إبراهيم العيسوي، التنمية في عالم متغير – دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها-، دار الشروق ط2، مصر، 2001.

15. عبد الله شريط، معركة المفاهيم، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1981.

16. محمد سبيلا، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، بيروت 2009.

17. محمود قاسم، مقدمة لكتاب معركة المفاهيم للأستاذ شريط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

18 . بوفلجة غيات، عوائق التجديد المعرفي بالجامعة الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، الجزائر، العدد الأول، 2005.

19 . وسيلة يعيش خزار، الفكر السياسي الخلدوني بين عبد الله شريط وعبد القادر جعلول، مجلة الأنسنة للبحوث والدراسات، 28-06-2016.